المحاضرة الرابعة

نظريات التعلم 2- النظرية المعرفية-

أ/ سهام سراوي

يُعد التعلم من أهم العمليات العقلية التي تُمكِّن الإنسان من التكيّف مع بيئته وتطوير معارفه ومهاراته، وقد شكّل محورًا أساسيًا في ميادين التربية وعلم النفس للسعي لفهم آليات هذه العملية، إذ ظهرت عدة نظريات تفسّر كيفية اكتساب الفرد للمعلومات وتخزينها واسترجاعها، ومن أبرزها النظريات المعرفية التي تجاوزت التفسيرات السلوكية الضيّقة، لتسلّط الضوء على العمليات الذهنية الداخلية، كالانتباه، والإدراك، والفهم، والتفكير، والذاكرة...وقد انبثقت عن النظرية المعرفية العديد من النظريات نذكر منها: **النظرية الجشطاتية، النظرية البنائية، نظرية التعلم بالملاحظة، نظرية التعلم الاجتماعي.**

ومنه سنقوم بتسليط الضوء في هذه المحاضرة على تلك النظريات الأربع، مع بيان الأسس النظرية التي تقوم عليها والمفاهيم الرئيسة التي تطرحها وتطبيقاتها التربوية.

أولا: النظرية الجشطاتية

تُعَدُّ النظرية الجشطاتية من أوائل التيارات المعرفية التي أكدت على أن التعلم لا يتم عن طريق تجزئة المعلومات، بل عبر إدراك الكل ومعانيه، حيث ركزت على

دور الإدراك في تنظيم المعرفة، فكان لها الأثر الكبير في علم النفس التربوي، حيث ركزت على **الإدراك الكلي** للموقف، وأكدت أن الإنسان لا يدرك الأجزاء منفصلة، بل يدركها كوحدة متكاملة. إذ يعد "الألماني **ماكس فريتهمير** 1880–1943 زعيم المدرسة الجشطاتية؛ الذي تناول ظاهرة التعلم من منظور يختلف عن السلوكيين متناولا الإدراك الظاهري أطلق عليه ظاهرة **فاي** في مقالة له."

و**التعلم من وجهة نظر الجشطالت** ليس نتيجة لتراكم المعلومات، بل هو نتيجة **لفهم المعنى** أو **إدراك البنية الكلية للموقف**. حيث يتم التعلم الحقيقي من خلال:

- الفهم العميق للموقف.
- اكتشاف العلاقات بين الأجزاء.
- إعادة تنظيم المعرفة داخليًا.

وتقوم النظرية الجيشطالية على مركزات أهمها:

1. **الإدراك الكلي** :الإنسان يدرك الأشياء كوحدة متكاملة، لا كأجزاء منفصلة.
2. **مبدأ الشكل والخلفية** :نميز بين العنصر الأساسي (الشكل) والخلفية المحيطة به.
3. **مبدأ الإغلاق** :يكمل العقل الأشكال الناقصة.
4. **مبدأ التشابه** :يميل العقل إلى تجميع العناصر المتشابهة معًا.
5. **مبدأ القرب** :الأشياء القريبة من بعضها تُدرك على أنها مجموعة.
6. **مبدأ الاستمرار** :يُفضل العقل الأنماط المتصلة والمستمرة.

التطبيقات التربوية للنظرية الجشطالتية:

أ- تصميم المحتوى التعليمي

- تقديم الدروس كوحدة متكاملة وليس أجزاءً منفصلة.

- استخدام الوسائل البصرية (رسوم، خرائط ذهنية) لتوضيح البنية العامة للدرس.

ب-استراتيجيات التدريس

- التركيز على الفهم وليس الحفظ.
- طرح مشكلات واقعية تشجع على إعادة تنظيم المعرفة.
- استخدام التعلم بالاكتشاف مثل تعلم المفاهيم من خلال الأمثلة.

ج- الأنشطة الصفية

- ألعاب إدراكية (مثل تجميع الأشكال الناقصة).
- استراتيجيات حل المشكلات.
- تحليل الصور أو المواقف ككل.

ج-بيئة التعلم

- تقليل التشويش البصري داخل الصف.
- تنظيم الوسائل التعليمية بطريقة تساعد على الإدراك الجيد.
- التأكيد على الترتيب والبنية في عرض المواد التعليمية.

الانتقادات الموجهة للنظرية الجيشطالتية

- تركيزها على الإدراك البصري أكثر من العمليات الأخرى.
- لا تعطي تفسيرًا كافيًا للتعلم الذي يعتمد على التكرار أو التدريب.
- غير كافية لتفسير بعض أنواع التعلم المعقدة التي تتطلب مراحل متعددة.

ثانيا: النظرية البنائية

النظرية البنائية هي نظرية تربوية تركز على دور البناء الذاتي للفرد في عملية التعلم والتطور. يتم تعزيزها بواسطة جان بياجيه، عالم النفس السويسري الشهير، الذي عاش بين عامي 1896 و1980. يُعتبر بياجيه واحدًا من أبرز علماء النفس في القرن العشرين ومساهمته في تطور علم النفس التربوي والتطور الإدراكي للطفولة كبيرة.

تقوم النظرية البنائية على مبدأ أساسي وهو أن الأطفال ليسوا مجرد أشخاص يتلقون المعرفة من البيئة المحيطة بهم، بل هم أيضًا مشاركون نشطون في بناء المعرفة الخاصة بهم، فيعتقد أن الأطفال يقومون ببناء المعرفة والتفاهم من خلال تفاعلهم مع العالم المحيط بهم، وخاصة من خلال التجارب والتفاعلات العملية.

كما قدم بياجيه أيضًا مفهوم التطور الإدراكي الذي يصف المراحل المختلفة لنمو الطفل العقلي والإدراكي. ومن أشهر المراحل التي وضعها هي المرحلة الاستشعارية والحركية، والمرحلة المسبقة التشغيلية، والمرحلة التشغيلية المحدودة، والمرحلة التشغيلية الفعلية، والمرحلة الاشتراكية.

بهذه الطريقة، تركز النظرية البنائية على دور الطفل في بناء معرفته الخاصة من خلال تفاعله مع العالم وتجاربه، وتؤكد على أهمية النشاط والتفاعل الذاتي لتحقيق التعلم الفعال والتطور الشخصي.

التطبيقات التربوية للنظرية البنائية

النظرية البنائية هي إحدى النظريات التعليمية التي تركز على دور المتعلم في بناء المعرفة والتعلم. وتعتبر هذه النظرية مهمة لعدة أسباب، وتجد تطبيقاتها في مجالات عدة. إليك بعض أهميتها وتطبيقاتها:

تعزيز الفهم العميق: تركز النظرية البنائية على دور المتعلم في بناء المفاهيم والفهم العميق للمعلومات. وبدلاً من مجرد حفظ المعلومات بشكل ميكانيكي، يشجع هذا النهج المتعلمين على التفكير والتحليل والتفاعل مع المعرفة التي يكتسبونها.

تعزيز المشاركة النشطة: يركز النمط البنائي على دور المتعلم النشط في تكوين المعرفة. يعزز هذا النهج المشاركة الفعالة للمتعلمين في عمليات بناء المعرفة من خلال المناقشات والتعاون والتجارب العملية.

تطوير المهارات العقلية: يشجع النهج البنائي المتعلمين على تطوير مهارات عقلية مثل التفكير النقدي، وحل المشكلات، والتحليل، والتعلم الذاتي. يساعد هذا في تمكين المتعلمين وتجهيزهم بالمهارات الأساسية التي يحتاجونها لمواجهة التحديات الحقيقية في حياتهم.

تعزيز التعلم القائم على الخبرة: يعتبر النمط البنائي منهجًا ملائمًا للتعلم القائم على الخبرة، حيث يشجع المتعلمين على استخدام معارفهم وخلفياتهم السابقة لبناء فهم جديد وتوظيف المعرفة في سياقات جديدة.

– **التفاعل الاجتماعي:** يشجع النهج البنائي على التعاون والتفاعل الاجتماعي بين المتعلمين. يتم تشجيع العمل الجماعي والمناقشات المشتركة لتعزيز التعلم وتبادل الأفكار والخبرات بين المتعلمين.

ومن بين أبرز الانتقادات التي وجهت إلى النظرية البنائية:

–**نقص التفسير البيولوجي:** يُعتبر أحد الانتقادات الرئيسية للنظرية البنائية هو نقصها في تفسير الأسباب البيولوجية للتعلم والتطور العقلي. فهي تركز بشكل رئيسي على العوامل الاجتماعية والثقافية في تشكيل المعرفة، وتغفل عن العوامل البيولوجية المحتملة التي قد تكون لها دور في عملية التعلم.

-**عدم القدرة على التفسير الشامل:** يعتبر آخر انتقاد للنظرية البنائية هو عدم قدرتها على تفسير جميع جوانب التعلم والتطور العقلي. فعلى سبيل المثال، تجاهلت النظرية بعض العوامل المتعلقة بالوراثة والتطور البيولوجي، ولم تقدم تفسيرات موسعة لمثل هذه الجوانب المهمة.

-**قلة التطبيق العملي:** يشير بعض النقاد إلى أن النظرية البنائية قد تكون صعبة التطبيق على أرض الواقع. فهي تعتمد بشكل كبير على توفر بيئة تعليمية مناسبة وتفاعلية، وتشجع المشاركة النشطة والتعلم من خلال الخطأ. وهذا قد يكون صعبًا في العديد من السياقات التعليمية التقليدية التي تعتمد على الطرق التعليمية التقليدية والتقييم المعياري.

-**الاعتماد على التعلم الذاتي:** يرى البعض أن النظرية البنائية قد تفتقر إلى تقديم إرشادات وتوجيهات واضحة للمتعلمين. حيث تعتمد النظرية بشكل كبير على التعلم الذاتي واكتشاف المعرفة بنفسه، مما قد يعني تحميل المتعلمين مسؤولية كبيرة في تنظيم وإدارة عملية التعلم الخاصة بهم.

أما ، التي ارتبطت بأعمال بياجيه وفيغوتسكي، فقد أكدت على أن التعلم يُبنى ذاتيًا من خلال تفاعل المتعلم مع محيطه، وأن المعرفة ليست مجرد نقل بل بناء نشط ومتدرج.

من جهة أخرى، برزت التي وضع أسسها ألبرت باندورا، مؤكدة على أن الإنسان لا يتعلم فقط من خلال التجربة المباشرة، بل أيضًا من خلال مشاهدة سلوك الآخرين وتبعاته، وهي الفكرة التي توسعت ضمن ، التي مزجت بين البعد السلوكي والمعرفي، معتبرة أن البيئة، والسلوك، والعوامل المعرفية، تؤثر في بعضها بشكل تفاعلي.

من خلال هذا العرض، سنقوم بتسليط الضوء على هذه النظريات الأربعة، مع بيان الأسس النظرية التي تقوم عليها، والمفاهيم الرئيسة التي تطرحها، بالإضافة إلى تطبيقاتها التربوية في ميدان التعليم.